الموقف الثقافي والموقف الإعلامي

نقاط الالتقاء ونقاط الافتراق ...

الطاهر بن عائشة

الموقف من حيث هو موقف، سواء كان ثقافياً أم إعلاميا، يعني انحياز، المثقف، أو رجل الاعلام، إلى قضية، أو مجموعة من القضايا المعينة، يدفعه إلى ذلك موقفه الطبيعي، والقومي من هذه القضية، أو تلك. فالموقف بصفة عامة يتحدّد على أساس علاقة الإنسان بالقضية سلباً أو إيجاباً، وهكذا نجد أن القضية الواحدة، يمكن أن تتعدّد حولها المواقف الإعلامية، والثقافية، حسب انتماءات الناس الطبقيّة والقوميّة والأمميّة. وحسب علاقة الإنسان بالقضية المعنية قرباً وبعداً. فمن وجهة النظر هذه يمكننا القول بأن موقف الانسان، سواء كان رجل ثقافة أو اعلام، يتحدّد وفق منظور معقّد، تتداخل فيه ثلاث دوائر، هي دوائر الطبقية والقومية، والأممية، التي ينتمي إلى ثلاثتها كل الناس ولو لم يعترفوا بذلك. بحيث أن لكل من اليمين، أو اليسار رؤيته الخاصة، التي تحدّد موقفه من مجريات الأحداث، التي يتعيّن اتخاذ الموقف في شأنها.

هذا تعريف عام ومختصر، للموقف الثقافي والإعلامي، من القضايا التي تجابه الإنسان. وهو يكافح من أجل حقّه في الحياة الحرّة الكريمة.

يبقى علينا تحديد النقاط البارزة التي يلتقي فيها الموقف الثقافي، بالموقف الإعلامي، وتلك التي يفترق حيالها الموقفان.

فأبرز نقاط الافتراق هي برأيي تتمثّل في الآتي:

الجمالية: يتميز الموقف الثقافي، عند القيام به من طرف الأديب والفنان، بالصياغة الجمالية، لتصوير الحدث وتقديمه ببراعة إبداعية حسب حدود موهبة الأديب والفنان، وحسب عمق إحساسه بالفكرة أو الحدث المقصود بالتناول.

بينما يكتفي رجل الإعلام بعرض موقفه من الحدث، بأسلوب مباشر، وبقوالب وصيغ لغوية تتّسم عادة بالتكرار، والبساطة. فأدوات رجل الإعلام اللغوية ثابتة إلى حد كبير، فهي تشبه أدوات العامل في المزرعة، أو العامل في المصنع، في حين تشبه أدوات الأديب والفنان، عملية الباحث الذي يبحث باستمرار عن جديد يكتشفه، ومجهول يرفع عنه ستار الغموض والإبهام.

وهذا لا يعني عدم وجود رجال إعلام موهوبين يقدّمون مادتهم من أخبار وتعاليق وتحقيقات في أساليب شيّقة تتميّز بالمهارة التقنيّة، وبمسحة من الجمال، وعمق في تحليل الأحداث. غير أن كل ذلك لا بد وأن يتسم حتماً بالسلاسة والمباشرة التي تقرّب الفكرة والخبر من أذهان الجماهير، وهو الشيء الأساسي في موضوع الإعلام، بينما يصر أغلب الفنّانين والأدباء على تجاهل حق جماهير الشعب في الاستمتاع بخيرات إبداعهم، التي تقدّم في أشكال معقّدة الرموز، ومكفّنة بعتمة وكناء، من ضباب السريالية، والتكعيبية، والتجريدية، وما شابه هذا وذاك من الطلاسم التي تعزل الموقف، وتبعده خارج دائرة الجماهير، التي هي البداية والنهاية بالنسبة لأي موقف ثقافي أو إعلامي.

الذاتية: يتميز الموقف الثقافي بالنزعة الذاتية، أعني أن الأديب والفنان، ينطلق في غالب الأحيان من حلم، من تصوّر، يتأمّله داخل وجدانه، وينطلق به سابحاً في وادي عبقر إلى أن يصل به إلى الواقع، أو الذي سيقع بينما يتميّز موقف رجل الإعلام بالموضوعية الصارمة، بحيث ينطلق من الواقع كما هو في الحياة، ليلفّ به من جميع جوانبه وزواياه، وينتهي عند الحديث عن الواقع. بعبارة أخرى الموقف الاعلامي الصحيح هو أن نقول للجماهير كل الحقيقة بدون خيال أو تزوير للوقائع والأحداث، سواء كان طعم هذه

الحقيقة حلواً أو مراً، وإلا سقط رجل الإعلام في بؤرة خداع الجماهير وتضليلها، وبذلك يفقد الإعلام ثقة المواطن، لأنه فقد مصداقيته.. بل فقد جوهره بالمرة.

الخلود: يتسم الموقف الثقافي الصحيح بالخلود والبقاء. كل الأشياء تبهت وتشيخ، ويدركها الفناء، إلا الموقف الثقافي الأصيل، فانه يحتفظ بنظرته، وتوهُّجه السحري، كنجوم السماء، إلى أن يتوقف الفلك عن الدوران. في حين ينتهي الموقف الإعلامي، مباشرة بعد أن يلعب دوره، في تنوير وصياغة الرأي العام، وتصحيح أخطائه، ومن ثم ينزوي في أروقة الماضي، ليتحول جزء منه إلى مادّة لكتابة التاريخ. ويندثر الباقي في حقل العدم والفناء.

ما يلتقي فيه الموقفان:

كل من الموقفين، يقدّم متعة روحية، تدخل على نفس المتلقّي، شعوراً غامراً بالرضى، والإحساس بالسعادة. وذلك إذا كان الموقف يتسم بالصدق الفني، أو الصدق المباشر. ففي كلتا الحالتين، يتلقى القارىء أو السامع أو المشاهد، إضافة معرفية لحصيلة معارفه وخبراته، ووعيه بماهية الأحداث التي تجري من حوله. إن الأوهام الفنّية، والأكاذيب الإعلامية، تتناقض مع وجود الموقف، الذي يتطلب الصدق الواعي بحقيقة الأشياء. وليس صحيحاً أنه: بحجة التجديد، أو المصالح السياسية الطارئة يمكننا اتخاذ موقف يقدّم الحقيقة مشوهة بل مزورة في بعض الأحيان. فموقف على هذا الشكل يُعدّ جريمة في حق الرأي العام، وخيانة للشعب، الذي من حقه، أن نقدّم له المعلومات، والمعارف صحيحة لا يشوبها نقص أو تشويه.

في أيام الهوان، والتمزق العربي هذه، تعظم مسؤولية المثقف ورجل الإعلام أكثر من أي وقت مضى، اذ المطلوب اتخاذ موقف صارم، ضد وضعية الاغتراب والاستلاب التي فرضت على جماهيرنا بأساليب مختلفة، جعلت مجتمعاتنا المغسولة المخ تقف حائرة أمام ما يجري حولها من خزي وعار، وخيانة، وتشتّت وفاشية متخلّفة.

إن الموقف الحقيقي، هو في العمل على تحرير الشعب أولاً من الإرهاب السياسي «الوطني» وطغيان الحكام، وذلك بتمكين الجماهير من حقوقها الأساسية في الأمن السياسي، وحرية الرأي، وحقّها في الاعتراض على المواقف والسياسات المغلوطة بله الخائنة منها.

إن بناء رأي عام صحيح، لا يتأتّى إلا بنشر الآراء الأخرى، دون ضغط أو إرهاب. إن غياب الديموقراطية الحقّة من مجتمع ما، يعني بالضرورة غياب ذلك المجتمع نفسه، من ملحمة الحياة.

هل يمكن أن نتصوّر ازدهار الحياة ونموها، في وضع تهميش الشعب، وإكراه قواه الحيّة على السمع والطاعة فقط؟ إن من يتحدّث عن اللحاق بالركب، وراء وعي الشعب وحضوره الفكري، كمن يضع الدواء على الرجل الخشبية.

دار الآداب تنشر

سلسلة

بطولات عربية

- لبيك ايتها المرأة بقلم سليمان العيسى
- زنوبيا فارسة الصحراء بقلم فالح فلوح
- الحدث الحمراء بقلم سليمان العيسى
- سيف الدولة الحمداني بقلم فالح فلوح
- ابن الصحراء بقلم سليمان العيسى
- معركة الزلاقة بقلم فالح فلوح ثمن الجزء ٥ ل. ل.
- صلاح الدين الايوبي بقلم فالح فلوح

دار الآداب شارع المزرعة، بناية مركز الكتاب، ص.ب ٩١٢٣ تلفونه ٨٠٣٧٧٨ ـ ٣٠٣٩٨٦